

النبوّة وبدائلها في كتابات جودت سعيد

د. محمد بن سعيد بن حامد آل مدشة الغامدي[*]



المقدمة:

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره الكافرون، الحمد لله الذي أنــزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على محمد عبد الله ورسوله، النبي المجتبى، والرسول المصطفى، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار، وصحبه الأبرار، المهاجرين منهم والأنصار، وسلّم تسليما كثيراً ما تعاقب الليل والنهار.

أمّا بعد: فإنّه قد ظهر على الساحة الفكرية في عصرنا الحاضر الكثير من الشخصيات التي أحبّت أن تقدّم لنا تراثا فكريا جديداً، وهي تريد من ذلك أن تُخْرِج هذه الأمّة من سباقها لتعيدها إلى أمجادها أيّام الرسول ﷺ وأيّام خلفائه الراشدين، إلاّ أنّ

(*) الأستاذ المساعد بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة.

عددا من هؤلاء اعتمد في فكره على مناهج خاطئة، ولم يسلك منهج الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم من الأئمّة أعلام الهدى، ومصابيح الدجى، وبالتالي جاء بفكر يزيد الأمّة ضعفاً ووهنا، بدل أن يزيدها قوّةً وعزماً، ويزيدها تفرّقاً وتشتتاً، بدل أن يزيدها ألفة ومحبّةً وتوحّدا.

ومن هذه الأفكار التي تزيد الأمّة ضعفا، ذلك الفكر الذي يدعو إلى إلغاء النبوّة، وأنّها مرحلة وانتهت، وأنّه قد حلّت محلّها بدائل تغني عن النبوّة، وفي هذه الصفحات من هذا البحث سأتحدّث عن النبوّة وبدائلها في كتابات جودت سعيد.

وهذا البحث سيشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأوّل: التعريف بجودت سعيد.

المبحث الثاني: موقف جودت سعيد من ختم النبوة.

المبحث الثالث: بدائل النبوة عند جودت سعيد.

الخاتمة

ثم **فهرس المصادر والمراجع**

والله أسأل أن يجعل هذا البحث خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون حجةً لكاتبه.

وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

المبحث الأوّل
(التعريف بجودت سعيد)

جودت سعيد محمد تسي أبزاخ، وُلِدَ بقرية بئر عجم التابعة للجـولان في سـوريا عام١٣٥٠هـ ١٩٣١م.

أتم دراسته الابتدائية في مدينة القنيطرة، ثم أرسله والده لمتابعة دراسته في مصـر في الأزهر الشريف في عام ١٩٤٦م, فأتم هناك المرحلة الثانوية، والتحق بكلية اللغة العربية من جامعة الأزهر، وتخرّج فيها، وحصل على إجازة في اللغة العربية منها.

تعرّف على الأستاذ مالك بن نبي في آخر مراحل وجوده في مصر من خلال كتاب شروط النهضة، ثم واتته فرصة لقائه والتعرف عليه شخصياً قبل مغادرة مصر نهائياً.

زار السعودية بعد ذلك ليقضي فيها نحو عام، تمت خلالها ولادة الجمهورية العربية المتحدة بقيام الاتحاد بين سوريا ومصر، ثم عاد إلى سوريا لتأدية الخدمـة العسـكرية، وأثناء تواجده في صفوف الجيش حدثت واقعة الانفصال، وفي حين امتثـل الجميـع لأوامر القادة في قطعته العسكرية، أعلن رفضه ومعارضـته المشـاركة في أي تحـرك عسكري، مما دفع القادة المسؤولين عنه إلى حجزه في الإقامة الجبرية، و لم يغادرهـا إلا بعد انقضاء الأمر.

أنهى خدمته العسكرية ليعين أستاذاً في ثانويات دمشق كمدرس للغة العربية، ومـا لبث أن اعتُقِلَ لنشاطه الفكري، وتكرَّرَت الاعتقالات، ورغم صدور قرارات بنقله إلى مختلف مناطق سورية إلا أنه لم يترك مجال التدريس إلاَّ بعد أن تمّ اتخاذ قرار بصرفه من عمله في نهاية الستينيات.

بعد حرب ١٩٧٣م، تم تحرير مدينة القنيطرة وبعض من قرى الجولان السوري المحتل، وكانت من ضمن القرى المحررة قرية بئر عجم، فقرر العودة والاستقرار هناك وإعادة ترميم المنزل مع عائلته ووالده وإخوته، وما زال يعيش هناك، يعمل في تربية النحل، والزراعة، ويمارس نشاطه الفكري والثقافي.

تفرغ للعمل الفكري، وقدم العديد من الكتب والدراسات والمحاضرات ، ولا يزال يهتم في فكره بنبذ فكرة العنف، ليضع بديلا يتمثل في التغيير بالحوار والبحث في آيات الآفاق والأنفس.

بدأ نشر أعماله الفكرية أوائل الستينيات، ونشر عدداً من الكتب، والكثير من المقالات والأبحاث والدراسات المتفرقة في دوريات مختلفة، إضافة إلى العديد من الندوات واللقاءات والحوارات في بلدان مختلفة.

كما قام جودت سعيد بتأليف العديد من الكتب وهي كالتالي:

أوّلاً: المؤلفات المنشورة:

- لم هذا الرعب كله من الإسلام/ الجامعة السورية / بداية الستينيات.
- مذهب ابن آدم الأول (١٩٦٦).
- الإنسان كلاًّ وعدلا (١٩٦٩).
- فقدان التوازن الاجتماعي (١٩٧٨).
- العمل قدرة وإرادة (١٩٨٠).
- حتى يغيروا ما بأنفسهم (١٩٧٢).
- اقرأ وربك الأكرم (١٩٨٨).

- مفهوم التغيير (١٩٩٤).
- رياح التغيير (١٩٩٥).
- كن كابن آدم.
- الدين والقانون

ثانياً: المؤلفات التي ألّفها بالاشتراك مع آخرين:

- الحوار سبيل التعايش، ندوة مطبوعة، بالاشتراك مع آخرين ١٩٩٤م، بيروت.
- التغيير مفهومه وترافقه، ندوة مطبوعة بالاشتراك مع آخرين، ١٩٩٥م، بيروت.

وما زال جودت سعيد يواصل أعماله الفكريّة والثقافية، وذلك من خلال كتبه ومقالاته، ومقابلاته الصحفية والتلفزيونية.

عُرِفَ جودت سعيد بأنه داعية اللاعنف في العالم الإسلامي أو غاندي العالم العربي، وقد عبَّر عن سعادته بهذا الوصف في مناسبات عدة[1].

تحدّث جودت سعيد عن الشخصيات التي تأثّر بها، وكانت بمثابة محطّات فكريّة ومكوّنات ثقافية له فقال: (إنني بدأت بالاتجاه السلفي، ثم توقفت على محطة الأفغاني

---

(١) جودت سعيد السيرة الذاتية، إعداد/غطفان القادري، مجلة الجديد، لبنان، العدد التاسع، ١يناير ١٩٩٦م، ص٢٤.

انظر ترجمة جودت سعيد في مواقع الإنترنت التالية:

- موقعه/ جودت سعيد نت (http://www.jawdatsaid.net/)
- ويكيبيديا الموسوعة الحرة، نوفمبر ٢٠١٥م:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D9%88%D8%AF%D8%AA_%D8%B3%D8%B9%D9%8A%D8%AF

- الشركس أهل التاريخ والحضارات:

https://www.facebook.com/sharkashistory/posts/1123412071002336

وعبده، ثم تابعت السير مع إقبال ومالك بن نبي، ولكن أركون شدني إلى ما يقال عنه الحداثة وكان هذا أشدّه عليّ)[١].

وقد ذكر خلدون مخلوطة في مقال له بأنّه كانت تقام في بيت جودت سعيد لقاءات مع محمد شحرور يحضرها نخبة من أتباعه يقرأون فيها كتاب محمد شحرور (الكتاب والقرآن)[٢].

* * *

(١) مجلة قضايا إسلامية معاصرة،٦٥-٦٦، رئيس التحرير: عبدالجبار الرفاعي، بيروت، لبنـــان، العـــدد الرابع، ١٤٩١هـــ ١٩٩٨م.

(٢) خلدون مخلوطة، تحريف مبادئ الإسلام والتلاعب بأحكامه باسم التجديد والعقلانية: جودت سعيد نموذجاً، موقع رابطة العلماء السوريين.

http://www.islamsyria.com/portal/article/show/7015#sthash.FF5bxWvv.dpuf

المبحث الثاني
(موقف جودت سعيد من ختم النبوة)

المطلب الأول: مفهوم ختم النبوّة عند جودت سعيد:

يرى جودت سعيد أنّ النبوّة قد خُتِمَت، وأنّ ختم النبوّة يعني انتهاء مرحلة معيّنة لتبدأ مرحلة جديدة، فالنبوة انتهى دورها، ليحل بعدها دور بدائل تؤدي أدوارا جديدة، وتأتي بوحي جديد، وتنسخ ما في الكتاب والسنة.

يقول جودت سعيد عن انتهاء النبوة: (لما بدأ الاهتمام بالواقع والتفاهم مع الله بواسطة سننه، توقفت النبوة؛ لأن النبوة مرحلة وانتهت)[1].

ويقول أيضا: (إقبال هو الذي فهم مغزى ختم النبوة، وما أهم هذه الفكرة، التاريخ هو الذي سيكشف في المستقبل أهمية هذه الفكرة، نحن نقول إن محمداً ﷺ خاتم النبيين، ولكن ما ثقل ووزن هذه الفكرة؟ إن النبوات من عهد نوح إلى محمد أقل من خمسة آلاف عام من بدء النبوة وختامها، وبعد مليون سنة كيف سيكون الناس؟ إقبال يقول: حق أن تختم النبوة حين صارت آيات الآفاق والأنفس مصدراً لمعرفة الحق)[2].

وينقل جودت سعيد عن محمد إقبال قوله: (ينبغي أن نفهم أولاً القيمة الثقافية لإحدى مفاهيم الفكر الإسلامية العظيمة وأعني بها فكرة ختام النبوة... والإنسان

(١) انظر: رسالة انظروا، اللغة والواقع ص٧، جودت سعيد، نقلا عن كتاب: النزعة المادية في العالم الاسلامي، عادل التل، ص١٤٠.

(٢) مجلة قضايا إسلامية معاصرة،٦٥، رئيس التحرير: عبدالجبار الرفاعي، بيروت، لبنان، العدد الرابع، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

محكوم أساسياً بالعاطفة والغريزة، أما العقل الاستدلالي، وهو وحده الذي يجعل الإنسان سيداً لبيئته، فأمر كسبي. فإذا حصلناه مرة وجب أن نثبت دعائمه ونشد من أزره، وذلك بكبت أساليب المعرفة التي لا تعتمد عليه. فإذا نظرنا إلى الأمر من هذه الزاوية وجدنا أن نبي الإسلام يبدو أنه يقوم بين العالم القديم والعالم الحديث، فهو من العالم القديم باعتبار مصدر رسالته، وهو من العالم الحديث باعتبار الروح التي انطوت عليها، فللحياة في نظره مصادر أخرى للمعرفة تلائم اتجاهها، ومولد الإسلام هو مولد العقل الاستدلالي، إن النبوة في الإسلام لتبلغ كمالها الأخير في إدراك الحاجة إلى إلغاء النبوة نفسها، وهو أمر ينطوي على إدراكها العميق لاستحالة بقاء الوجود معتمداً إلى الأبد على مقود يقاد منه، وأن الإنسان لكي يحصِّل كمال معرفته لنفسه ينبغي أن يُترك ليعتمد في النهاية على وسائله هو، إنّ إبطال الإسلام للرهبنة ووراثة الملك ومناشدة القرآن للعقل وللتجربة على الدوام وإصراره على أن النظر في الكون والوقوف على أخبار الأولين من مصادر المعرفة الإنسانية، كل ذلك صور مختلفة لفكرة انتهاء النبوة)[1].

فمن خلال ما سبق يرى جودت سعيد أنّ النبوة مرحلة انتهت، وأنّها لا تصلح لواقعنا المعاصر، وللحياة الحديثة المتطورة؛ لذلك لا بد من الانتقال إلى مرحلة جديدة تشتمل على بدائل تواكب العصر الحديث، وتحل محل النبوّة.

فما هذه البدائل التي تعتبر مصادر للتشريع تحل محل النبوة في التشريع؟

في المبحث القادم يأتي الجواب - بإذن الله تعالى- على هذا السؤال.

(١) مجلة قضايا إسلامية معاصرة، ٨٤.

المطلب الثاني: نقد موقف جودت سعيد من ختم النبوة:

إنّ ما زعمه جودت سعيد من أنّ ختم النبوة هو انتهاء مرحلة معيّنة لتبدأ مرحلة جديدة، وهذه المرحلة يمكن أن تنسخ ما جاءت به النبوة من الكتاب والسنة، هو تكذيب لما جاء في القرآن والسنة من بيانٍ لدور النبوة، ومهمّتها، وما زعمه من بدائل للنبوّة إنّما هو تشريع جديد ودين جديد ليس من الإسلام في شيء، والله ورسوله منه بريئان.

إنّ قول جودت سعيد: (إن النبوة في الإسلام لتبلغ كمالها الأخير في إدراك الحاجة إلى إلغاء النبوة نفسها، وهو أمر ينطوي على إدراكها العميق لاستحالة بقاء الوجود معتمداً إلى الأبد على مقود يقاد منه، وأن الإنسان لكي يحصِّل كمال معرفته لنفسه ينبغي أن يُترك ليعتمد في النهاية على وسائله هو)(1).

إنّ هذا القول صريح في إلغاء دور النبوّة وأنّها لا تصلح لعصرنا هذا، وأنّ الإنسان لا بد أن لا يبقى معتمداً دائما مصدر واحد يقوده، بل لا بد من التمرد على هذا المصدر والاعتماد على مصادر ووسائل أخرى.

وما ذكره وقرره جودت سعيد مصادم لقول الله – تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩ ﴾ [النساء:٥٩] فالله ﷻ يأمر العباد بالتحاكم إلى كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، ولم يذكر مصدراً للتشريع غيرهما.

وقال – تعالى-:﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٤٤ ﴾

(١) مجلة قضايا إسلامية معاصرة، ٨٤.

[المائدة:٤٤] وقال – تعالى-: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة:٤٥] وقال – تعالى-: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المائدة:٤٧] فالله ﷻ حكم بالكفر والظلم والفسق على من لم يحكم بما أنــزل الله، فكيف بمن يريد إلغاء النبوة، ويريد أن يأتي بشرع جديد ناسخ لما أنــزله الله ﷻ على رسوله ﷺ.

وقال الله – تعالى-: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥] وجودت سعيد يدعو الناس إلى دين جديد ينسخ ما جاء في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ وبالتالي فالدين الجديد الذي يدعو إليه جودت سعيد مرفوض ومردود عليه، ولن يقبله الله منه، ولن يقبله منه المسلمون، استجابة لله ورسوله.

وبيّن لنا رسول الله ﷺ المرجع الذي نرجع ونتحاكم إليه بعد وفاته، حيث قــال ﷺ: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَــابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ**)(١).

وقال ﷺ: (**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**)(٢).

فمن أين جاء جودت سعيد بهذه البدائل التي لم يجعلــها الله ﷻ ولا رســوله ﷺ

(١) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد، ١٧١/١، حديث رقــم (٣١٨)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هــ ١٩٩٠م.
(٢) سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمــد محمــد شــاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـــ – ١٩٧٥ م.

مصدرا للتشريع، فضلا عن أن تكون ناسخة للكتاب والسنة، ملغية للنبوّة.

وقد قرّر علماء الإسلام أنّ مَنِ اعتقد أنَّ غير هدْيِ النبيِّ ﷺ أكْمَلُ مِن هدْيِه، أو أنَّ حُكْمَ غيرِه أحسنُ من حُكْمِه، لأنَّ زماننا قد تغيَّر عن زمن النبيِّ ﷺ أو أن غيره من الأحكام مثله أو أفضل منه، أو اعتَقَدَ أنَّ بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة النبيِّ ﷺ فقد كفر، قال - تعالى -: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]، قال الجصاص: (وفي هذه الآية دلالة على أن من رد شيئا من أوامر الله -تعالى- أو أوامر رسوله ﷺ فهو خارج من الإسلام - سواء ردّه من جهة الشك فيه، أو من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم)[١].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى-: (فإنّه قد عُلِمَ بالاضطرار من دين الإسلام أنّ رسالة محمد بن عبد الله ﷺ لجميع الناس: عربهم وعجمهم وملوكهم وزهادهم وعلمائهم وعامتهم، وأنها باقية دائمة إلى يوم القيامة؛ بل عامة الثقلين الجن والإنس، وأنه ليس لأحد من الخلائق الخروج عن متابعته وطاعته وملازمة ما يشرعه لأمته من الدين، وما سنّه لهم من فعل المأمورات وترك المحظورات، بل لو كان الأنبياء المتقدمون قبله أحياء لوجب عليهم متابعته ومطاوعته، وقال الله - تعالى-: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾[آل عمران:٨١] قال ابن عباس -رضي الله

(١) أحكام القرآن، أبو بكر أحمد بن علي الجصاص، ٢/٢١٣، دار الفكر، بيروت.

عنهما-:(ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق؛ لئن بُعِثَ محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأَمَرَه بأخذ الميثاق على أمته لئن بُعِثَ محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنّه)[1]، وعن جابر رضي الله عنه أّن النّبي ﷺ رأى بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورقة من التوراة فقال: (أمتهوّكون يا ابن الخطاب؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي)[2]، ورواه أحمد في المسند ولفظه: (ولو كان موسى حيا ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم)[3]، ... بل قد ثبت بل بالأحاديث الصحيحة أن المسيح عيسى ابن مريم إذا نــزل من السماء فإنه يكون متبعا لشريعة محمد بن عبد الله ﷺ، فإذا كان ﷺ يجب اتباعه ونصره على من يدركه من الأنبياء، فكيف بمن دونهم؟ بل مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام أنه لا يجوز لمن بلغته دعوته أن يتبع شريعة رسول غيره كموسى وعيسى، فإذا لم يجز الخروج عن شريعته إلى شريعة رسول فكيف

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ٦/٥٥٠-٥٥٦، تحقيق/أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١،١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م .

- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ٦٧/٢، تحقيق/سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٢) انظر: شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ٣٤٧/١، تحقيق/د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض،ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م

_ شرح السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، ٢٧٠/١، تحقيق: شعيب الأرناؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ١٩٨/٢٥، حديث رقم (١٥٨٦٤)، تحقيق/شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

بالخروج عنه والرسل؟)[1].

ومن خلال ما سبق يتضح أنّ مفهوم ختم النبوة بمحمد ﷺ معناه أنّه لا نبي بعد محمد ﷺ وأنّه آخر الأنبياء، أمّا شريعته فهي باقية إلى يوم الدين، لذلك أُمِرْنا بالرجوع إليها بعد وفاته ﷺ.

* * *

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ١١/٤٢٢_٤٢٤، جمع وترتيب/عبدالرحمن بن محمد بن قاسم.

المبحث الثاني
(بدائل النبوة عند جودت سعيد)

المطلب الأول: عَرْضُ بدائل النبوة عند جودت سعيد:

هناك بدائل عديدة للنبوة تحدّث عنها جودت سعيد، وبيّن أنّ هذه البدائل حاكمة على الكتاب، وناسخة له، وأنّها حتمية قطعية خلافا لنصوص الكتاب فهي غير قطعية بل محتملة، وفيما يلي بيان هذه البدائل:

١- آيات الأنفس والآفاق (السنن أو السننية):

تحدث جودت سعيد عن السننية في كثير من كتبه وحواراته، ففي حوار منشور في اليوتيوب تم نشره في ٢٠١٥/٠٩/٠١م مع جودت سعيد بحضور أخته ليلى[١]، تحدّث جودت سعيد عن السننية وفي ما يلي ملخص ما ذكره جودت عن السننية في هذا الحوار:

يقول جودت سعيد: (احتقارنا للسنن التي يستخدمها الناس سواء كان روسيا أو أمريكا أو اليابان، استخفافنا بها، واعتمادنا على الكتاب، هذا يجعلنا نحن تافهين)[٢].

وذكر أن سبب ما وصل إليه المسلمون اليوم من ضعف وانقسام هو (نتيجة فهمهم للكتاب دون الاستفادة من آيات الآفاق والأنفس)[٣].

ويقول أيضاً: (إنّ نصوصنا التي نحن نُكَبِّرُها صحيح هي تؤدي دور في مرحلة ما،

---

(١) انظر الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=Cp٦UKnrEfTA

(٢) انظر الدقيقة٣,٤٠.

(٣) انظر: الدقيقة: ٥،٥.

لكن هذا الدور لا يعطيه إلّا إذا فهمناه وغيّرنا فهمنا للتراث)[١].

ويقول جودت سعيد لمحاوره: (أنت تخاف على الأصول وأنا أخاف من الأصول، أخاف من الأصول؛ لأنّ بحسب التاريخ ما حمتنا هذه الأصول؛ لأنّه كان غائباً الآفاق والأنفس، وأعطي الأولوية بنص القرآن لّما يقول: ﴿**سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ**﴾ فالذي سيبيّن أنّ هذا هو الحق له الأولوية، لأنّ الذي يبيّن في الخارج هو الذي سيبيّن أنه الحق، آيات الكتاب ليست هي التي ستبيّن أنّ هذا هو الحق بحسب النص القرآني، وإنّما آيات الآفاق والأنفس هي التي ستبيّن، فكأنّه إذا أردنا أن نرجع الآن ينبغي أن يكون معنا آيات الآفاق والأنفس؛ لأنّ دلالة الآفاق والأنفس دلالة حتمية لا يمكن أن ينكرها أحد، بينما دلالات النصوص دلالات احتمالية)[٢].

ويقول أيضا: (إنّ آيات الآفاق والأنفس تكون ظنية قبل أن تعطي النتائج، لكن بعد أن تعطي النتائج لن تكون ظنية، بل تكون يقينية، ففي وقتنا الحاضر الإنسان الذي يستطيع أن يفهم آيات الآفاق والأنفس يستطيع أن يفهم آيات الكتاب، لكن الذي يفهم آيات الكتاب لا يستطيع أن يفهم آيات الآفاق والأنفس، هناك آيات دلالتها قطعية، أنا أرى أنّ {**قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ**} دلالتها قطعية، ولكن العالم الإسلامي ومنذ ألف وثلاثمائة سنة ما خطر في بالهم أنّ هذه الدلالة القطعية تؤدي معنى، إذاً أنا لا أثق في الدلالة القطعية الموجودة في هذه الآية بدليل

---

(١) انظر: الدقيقة: ١١,٣.

(٢) انظر: الدقيقة: ١٤,٤٠.

الواقع التاريخي الكبير الذي مضى عليه ألف وثلاثمائة عام؛ لأنّه حدث في المائتين سنة الأخيرة أنّه أُلْقِيَ أضواء من آيات الآفاق والأنفس على هذه الآية فبرزت، فإذا هذه الآية كانت ميّتة لا تؤدي دور، والذين حتّى أدوا الدور لهذه الآية لم تكن عندهم هذه النصوص، ولكن نحن الذين عندنا هذه النصوص لم نؤدّ هذا الدور، إذاً النصوص لا تؤدي دوراً إلاّ إذا كان هناك صلة بالواقع دائماً)[١].

ويقول أيضاً: (نحن في حاجة إلى آيات الكتاب والسنة لأجل أن يطلب الناس آيات الآفاق والأنفس، فلأجل أن يطلبوا آيات الآفاق والأنفس نستخدم آيات الكتاب، لكن حينما يظهر آيات الآفاق والأنفس بوضوح، في الواقع لا نحتاج إلى آيات الكتاب)[٢].

ويقول أيضا: (المسلمون يخافون من شيء، وهو أنّه في المستقبل البعيد سيأتينا بوحي جديد أهم من الكتاب)[٣]، ويقصد بذلك أن دلالة الآفاق والأنفس ستأتي بوحي جديد، لذلك يخاف المسلمون من دلالة الآفاق والأنفس.

ويقول أيضا: (أنا أقول: إنّ آيات الآفاق والأنفس بما أنّها هي التي تحكم على الكتاب لها حق النسخ،... أشعر أنّه قد يأتي آيات آفاق وأنفس فتنسخ كل ما عندنا ولا حرج عندي في ذلك؛ لأني وجدت واحد اثنين ثلاثة أربعة خمسة قابلين للنسخ)[٤].

---

(١) انظر: الدقيقة: ١٨,٣٠.
(٢) انظر: الدقيقة: ٣٧,٣٠ .
(٣) انظر: الدقيقة: ٣٨,٤٢.
(٤) انظر: الدقيقة: ٤٠,١٣.

وفي هذا الحوار تقول ليلى سعيد أخت جودت: (عندما كنت في عمر أربع عشرة سنة كنت أستمع لأحاديث الشيخ علي الطنطاوي في الإذاعة، كنت أشعر أنّه يعطيني دعم قوي ويعطيني اعتدال، الآن قد استمع له لأتسلّى، لكن أنّه استفيد منه شيء لا أشعر بهذا الآن، فهل يمكن أن نتطور ويصل الإنسان إلى مرحلة بالنسبة للكتاب والسنة مثل مرحلة علي الطنطاوي) فأجابها أخوها جودت: (نعم)[1].

وفي حديثه عن قول الله -تعالى-: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾ [فصلت:٥٣].

يقول جودت سعيد: (هذه الآية تنقل موضوع الفكر الديني الذي تقـرّره آيات الكتاب، تنقل مصدر الأدلة من آيات الكتاب إلى آيات الآفاق والأنفس، وهذه النقلة البعيدة المدى لم تكن البشرية مهيأة لها من قبل، بل لا تزال غير مهيأة لها إلى الآن، وانعدام هذه النقلة أو عدم القدرة على التكيّف معها هو الذي جعل مصدر أدلّة العلم والإيمان مختلفة في أذهان العالم المعاصر، فجعلوا الدين غير العلم، وأن مصدر العلم من الواقع، ومصدر الدين من الغيب، فهذه الآية بهذه النقلة التاريخية التي لم يقدر البشر على تفهمها، تدمج الدين دمجاً كاملاً في العلم الواقعي في المحيط الإنساني، ليكون موضع تأمل الناس)[2].

ويقول أيضاً: (هذه الآية آية الآفاق والأنفس قلبت مكان الدليل ومصدره، فآية الآفاق والأنفس حددت مكان الدليل ومصدره بأنه ليس الكتاب، فلا نطلب كيف

---

(١) انظر: الدقيقة: ٤٧,٤٥.

(٢) اقرأ وربك الأكرم، جودت سعيد، ص٢١٧-٢١٨، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

بدأ الخلق من الكتاب، وإنما نطلبه من السير في الأرض والنظر، كما أمر بذلك الكتاب، فالحكم في الكتاب، والدليل في الواقع والأرض وآيات الآفاق والأنفس)[١].

ويقول أيضاً: (في القضاء يطلبون البينة والأدلة والشهود، والله –تعالى- يقيم على دينه وكتابه شاهدي عدل، وهما آيات الآفاق والأنفس، حين يقول: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ وهما شاهدان معتبران لهما حق الشهادة، وميزة هذين الشاهدين أنهما نزيهان غيرُ مُتَّهمين بالتحيز والهوى، فلهذا من استطاع أن يُشهد على قضيته آيات الآفاق والأنفس فقد استوفى نصاب الشهادة وأخرج الدليل من عالم الغيب إلى عالم الشهادة.

وللمجادل أن يصادر آيات الكتاب ولكن لا يمكنه أن يصادر آيات الآفاق والأنفس، فمن هذا الجانب صار دليل الدين دليلاً عالمياً إنسانياً علمياً، وليس دليلاً لطائفة معينة من الناس)[٢].

ويقول أيضاً: (كثيراً ما يواجهني الشباب المتحرق إلى التعاون والتآلف وتوحيد الجهود الإسلامية – وحتى الإنسانية – بسؤال: ما السبيل إلى توحيد المسلمين أو العاملين للإسلام؟ إني قد أشرت في بعض كتبي أن الجواب التقليدي لهذا السؤال هو قولهم: بالعودة إلى الكتاب والسنة والسلف الصالح، لكن هذا الجواب لم يعد كافياً على وضعه التقليدي، ولكي يصدق هذا الجواب ويكتسب فاعليته العملية لا بد من أن يكشف المسلمون وغير المسلمين منهجاً لفهم الكتاب والسنة وكل التراث

(١) اقرأ وربك الأكرم، جودت سعيد، ص٢٢١.

(٢) المصدر السابق، ص٢٢٢.

الإنساني، وأنا أستبق الجواب المفصّل إلى الجواب المقتضب، وأقول: إنّ هـذا المنـهج منهج آيات الآفاق والأنفس، إنّ هذا المنهج هو الذي سيحدد معنى الكتـاب ومعـنى السنة، ومعنى فهم الناس لهما على مرّ التاريخ، ولقد ذكرت في أثناء ما أكتب إشارات ولمحات إلى أهمية آيات الآفاق والأنفس، وإنهما نوع من الوحي والأسلوب الذي يعلن به الله إرادته لخلقه، وهذا الأسلوب الجديد له ميزات جديدة أيضاً، أرجـو أن ينتبـه القارئ إلى هذا الموضوع ويتتبع ويجمع شتات ما كتبت في هذا المجال، ويدرب نفسـه على تذوق آيات الله في الآفاق والأنفس ومزاياهما، وإنهما طريقان لتحويل الـدين إلى العلم والعالمية، وكلما صار شيء علماً صار عالمياً، ... إذن إن هذا المنهج هو الطريـق الذي ستتوحد به المذاهب الإسلامية بل وسيتوحد به العالم)[(1)].

ويقول أيضاً: (لقد فسّر السابقون القرآن وفق عصرهم، لكن القـرآن يأمرنـا ألاّ نقفَ عند مفاهيمهم وآرائهم، ويقول لنا: افتحوا أسماعكم وأبصـاركم، وانظـروا في السموات والأرض: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت:٤١/٥٣]، إنه -تعالى - لم يقل: سنريكم بل قال: (سَنُرِيهِمْ) أي أن المستقبل هو الذي يحمل في طياته الفهم الجديد للقرآن، إنّ أجدادنا لم يكن لديهم من التطور ما يستطيعون به أن يدركوا آيات الآفاق والأنفس، فما المعنى الـذي كـانوا يحملونه للسماء؟ وكيف كانوا يتصورون الأرض؟ وإذا كان الله يقـول: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ فهذا يعني أنّ فهم الحق مرتبط بفهم الآفاق والأنفس، ومما أوصل العالم الإسلامي إلى هذا الوضع المزري ؛ إنما

(١) اقرأ وربك الأكرم، جودت سعيد، ص٢٢٤-٢٢٥.

هو الفهم القديم الذي يتعلّقون به، فوقائع اليوم لا يمكن مواجهتها بعقلية الأمـــس، ولا يمكن للمسلمين أن ينهضوا إلا إذا استوعبوا العصر وفهموا القرآن)[١].

ويقول أيضاً: (وآيات الآفاق والأنفس أدلُّ من آيات الكتاب ؛ لأن آيات الكتاب لا يفهمها إلا من يفهم آيات الآفاق والأنفس)[٢].

٢- التاريخ والواقع:

يقول جودت سعيد: (إلى الآن لم نفهم الواقع والتاريخ؛ لأنهما ملغيان عندنا بواسطة النص، بينما التاريخ والنص هما الزوجان الذي بدون أحدهما يصاب الوجود بالعقم)[٣].

ويقول أيضا: (إننا نتعلم بتبلد شديد صلة النص بالواقع أو الاسم بالمسمى، لهذا الله بالذات يقول لنا إذا عرفتم الواقع ستعرفون أن هذا الكتاب حق؛ لأنّ الكتاب المنفصل عن الواقع يمكن أن يضل بل ينبذونه وراءهم ظهريا، ولو اقتصرنا على النص في فهم الفلك الدوار لظللنا نقاتل بعضنا بعضاً على التفسير، ولكن الذي حسم المشكلة ليس النص بل النظر إلى الفلك والنظر إلى ما في السماوات وما في الأرض، إنها آيات الآفاق، والنظر إلى طبيعة الجهاز العصبي الخازن للخبرات هي آيات الأنفس، ما لم نقر ونعترف بالعلاقة بين النص - الكتاب- والواقع الذي يتحدث عنه، سنظل

---

(١) رياح التغيير، جودت سعيد، ص١٠٤-١٠٥، دار الفكر المعاصـــر، بـــيروت، ط٢، ١٤٢٧هـــ ٢٠٠٦م.

(٢) رياح التغيير، جودت سعيد، ص١١٤-١١٥.

(٣) مجلة قضايا إسلامية معاصرة، ٦١-٦٢.

في التيه وتكفير بعضنا بعضا)[1].

ويقول أيضا: (إنّ من لا يعرف التاريخ ليس فقط معرفته غير سليمة، بل لا يُوثق بعلمه، لأن المعرفة هو التاريخ، هو الخبرات، هو التجارب، بدون تاريخ لا علم ولا عقل).

ويقول أيضاً: (التاريخ هو الذي يشهد للقرآن بالصدق، فالتاريخ هو البينة والشاهد على هذا، والله يأمرنا في كتابه أن نتحاكم إلى التاريخ؛ لأن عواقب التاريخ لا يمكن التلاعب بها).

ويقول أيضاً: (العلاقة بين النص والواقع يمكن توضيحها بدراسة شجرة أو عضو حي أو حيوان أو إنسان أو أي عنصر من عناصر المادة، فمهما ألّف المؤلّفون من العلماء عن هذه المواضيع فإن مؤلفاتهم تظل قاصرة؛ لأنه إذا أردنا أن نتأكد من صحة فهمنا لما كتبه العلماء علينا أن نرجع إلى الموضوع الذي كتبوا عنه، أي أنّ الواقع هو المرجع عند الاختلاف، وأنا قلت حتى ولو كان الله وَضَع كتاباً في هذا الموضوع لكان خلق الله المادي الواقعي أدل على ما خَلَقَ من الكتاب الذي وضعه الله ﷻ).

ويقول أيضا: (ليس التاريخ رديفَ القرآن، بل هو مرجع القرآن وعمدته في إبراز صدقه، مثلاً يقول الله -تعالى-: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة:٢٥٦] قد نخطئ في فهم هذا الحكم، وكم يخطئ المسلمون في فهم هذا الموضوع بشكل مأساوي، كأنهم يظنون إذا صار لا إكراه في الدين سيخسر المسلمون وسيخرجون من الإسلام، هذا الوهم الخرافي يوقعهم في مآسي، ولا يفطنون كيف سقط الاتحاد السوفيتي في هذا

(١) مجلة قضايا إسلامية معاصرة، ٦٢-٦٣.

العصر تحت سمعنا وبصرنا؛ لأنه البلد الذي كان بمارس الإكراه في الدين، كيف سقط وكيف كان سقوطه عظيماً، وسيسقط كل الذين يُكرهون الناس على الدين، ودين الله لا إكراه فيه).

ويقول أيضاً: (التاريخ يعلمنا أنّ مشكلة الإنسان مشكلة رفض المساواة وبمصطلح القرآن (**كَلَمةٍ سواءٍ**)[آل عمران:٣/٦٤])[1].

ويقول أيضاً: (إنّ الدين والقانون ينبغي أن لا يتأسسا على أهـواء النـاس. أي: صورهم الذهنية عن الدين والأنبياء، بل ينبغي أن توزن هذه الصور والأهواء بميـزان تاريخ المعرفة الذي يحكمه قانون: (**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَـا يَنفَـعُ النَّـاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ**)[الرعد:١٣/١٧] بالتاريخ صار الإنسان عارفاً الخير والشر، النافع والضار، الحق والباطل، وهذه المعرفة ستزداد على مر الزمن، إنّ ديننا وثقافتنا لم يُبنيـا على أسس متينة)[2].

ويقول أيضاً: (المشكلة ليست مشكلة نصوص، وإنّما مشكلة فهم وتفسير وتعامل مع ظواهر الوجود، من فَلَك، وحياة، وإنسان، ومجتمع، وتاريخ، فالنصوص التي عَبّرت عن هذه الظواهر ليست هي الوقائع ذاهّا، فالنص، والكلمـات، والحـروف، مـن مخلوقات الجهاز العصبي، هي رموز لتداول المعلومات، ... إذن لا بد للبشرية مـن أن تعزل النصوص عن السيادة، لتتحول السيادة إلى الوقائع التي قوانينها خـارج أذهـان البشر، ومراجعتها دائماً بالعودة إلى الموضوعات وعواقبها، ... إنّ النصـوص حاملـة

(١) الدين والقانون، جودت سعيد، ص٧٢.
(٢) السابق، ص١٣٢.

المعنى وليست المعنى، ... نحن نعجز عن دراسة النصوص، لأنّنا نجهل التعامل مع موضوعات النصوص، ولا تزال السيادة للنصوص بدل الوقائع، كذلك نقع في غي الوهم في تفسير الموضوعات والأحداث بنفس الخطأ في النصوص)[1].

ويقول أيضاً: (قانون التاريخ وهدفه الذي لم يتوقف خلال التاريخ كله هو أنّ الأنفع للناس وليس لبعضهم فقط، هو الذي سيبقى في الأرض، وهذا القانون هو المرجع الفاصل القاطع الذي لا يرحم المتخلف عنه؛ إنّه سينسخه ويحوله إلى جفاء، والأنفع للناس ينسخ الأقل نفعاً، سواء في التقنيات أو الصور الذهنية، وهذا القانون يكرّره القرآن ويقول: (**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**) [البقرة:١٠٦])[2].

المطلب الثاني: نقد بدائل النبوة عند جودت سعيد:

١_ دلالة سنن الآفاق والأنفس:

السنن لفظ جاء ذكره في القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٨] وقال- تعالى-:﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٦٢] وقال –تعالى-: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفتح:٢٣]وقال- تعالى-: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾

(١) الدين والقانون، جودت سعيد، ص١٧١-١٧٥.
(٢) السابق، ص٧٠.

[آل عمران:١٣٧] وقال- تعالى-:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ ﴾ [النساء:٢٦].

فلفظ السنَّة والسُّنَن كان في سياق الحديث عن الأمم والشعوب ومصائرها تبعاً لاقترابها أو ابتعادها عن تعاليم دينها وأنبيائها.

أما جودت سعيد فإنّه يتحدّث عن سنن الآفاق وسنن الأنفس ويستدل بقول الله ﷻ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝ ﴾ [فصلت:٥٣] وفي الحقيقة أنّ ما يقصده جودت سعيد لم يرد ذكره في القرآن بلفظ السنن، وإنّما بلفظ الآية، فيقال: (آيات الأنفس والآفاق)؛ لأن الله قال:{ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا }، وهناك فرق بين الآيات والسنن، فالآيات المذكورة في كتاب الله، تشير إلى قوانين كونية ثابتة تدل بذاتها ودقة إحكامها وثبات حركتها على وجود الله ﷻ وخلقه وقدرته وإرادته وعلمه وحكمته.

أما بالنسبة لمفهوم السنن في كتاب الله فهي خاصة بالشأن الإنساني، وهذه السنن لها قانون مختلف مغاير للآيات الكونية، فالسنن وإن كانت تتسم أيضاً بالثبات، لكنها تخضع لمقتضيات الحكمة التي تحدد الزمان والمكان والتفاصيل.

فالشمس والقمر والإنسان والحيوان آيات تدل على وجود الله بسبب ما فيها من إبداع وإتقان يظهر فيه علم الله وحكمته، وهي موجودة دائما، ووجودها ثابت.

أمّا السنن فوجودها ليس دائما، بل تابع لحكمة الله، فسنن النصر والهزيمة، والعز والذل، والغنى والفقر، والنجاة من عذاب الله والهلاك، ليست قائمة على مبدأ السبب والنتيجة كقانون لا يقبل الانفكاك، ولا هو بالمبدأ الذي يخضع للمنطق الإنساني في

فهم الأمور، إنّ السنن الإلهية ترتبط بالإرادة والحكمة الإلهية، ودراسة هذه السنن تعني أن ندرك المغزى العقائدي والسلوكي في هذه الحوادث.

ولا بد من التنبّه إلى قضية مهمّة وهي أنّ طرق معرفة هذه السنن هي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والاعتبار بتجارب الشعوب والأمم في موقفها من هذه السنن كما قصها علينا كتاب الله، وليست إعمال العقل، كما هو شأن الآيات الكونية، أو لنقل أن الأولوية في معرفة هذه السنن هو تلقيها عن الشارع نفسه، على الرغم من عدم نفي إمكانية معرفتها بالعقل.

إن إقرار السننية كمبدأ في حياة الأمم هو إقرار لمبدأ قرآني، لكن تأويل هذا المبدأ وتوظيفاته المختلفة هي التي خرجت به، عن معناه القرآني.

إن مفهوم السننية عند جودت سعيد يتسع إلى أقصى مدى ممكن، فهو يمتد ليشمل القانون الناظم للحركة الكونية، وكذلك قانون الحركة الاجتماعية والتاريخية، فعلم الفلك هو "سنن الآفاق" وعلم الاجتماع "سنن تغير المجتمع" وكذلك علم النفس فهو "سنن تغيير ما بالأنفس"، بل إنه يرى في قوانين الماركسية إثبات للسنن، مع إقراره بأن تفسير الماركسيين لهذه السنن كان جزئياً، ومن الواضح أن مفهوم السنن يعادل عند جودت سعيد مفهوم القانون الطبيعي والاجتماعي، لكن هذا لا يتفق بأي حال من الأحوال مع سياق النص القرآني، وهذا الفهم هو الذي يؤدي به إلى مجموعة من المغالطات(١).

(١) انظر: مفهوم السننية بين الدلالة القرآنية والتوظيفات الحداثية، محمد عادل شريح، مقال نُشِر على موقع (مركز التأصيل للدراسات والبحوث) على الانترنت، يوم السبت ١ ذو القعدة ١٤٣١هـ .
http://taseel.com/articles/126

من خلال ما سبق يظهر: أنّ السنن خاضعة لحكمة الله ﷻ وإرادته، فقد توجد أسباب النصر لكن لا يتحقق النصر؛ لأنّ الله أراد ذلك لحكمة يعلمها ﷻ، وكذلك أسباب الهزيمة، وأسباب الهلاك، وأسباب العز، وأسباب الذل، كلّها قد أسباب قد تكون موجودة لكن لا تتحقق؛ لأنّ الله أراد ذلك لحكمة يعلمها ﷻ، فالسنن خاضعة لإرادة الله وحكمته.

فليست السنن قوانين حتمية قائمة على الأسباب والمسببات، والعلّة والمعلول، متى ما وُجدَ السبب وُجِدَ المسبَّب، ومتى ما وُجِدَت العلة وُجدَ المعلول كما يزعم جودت سعيد.

كما أنّ الله ﷻ عندما ذكر السنن في القرآن لم يذكر أنّها مُلْغِيَة للنبوة، وناسخة لأحكام الشريعة، وأنّها قد تأتي بشرع جديد كما يزعم جودت سعيد.

ب- التاريخ والواقع:

التاريخ والواقع لم يجعلهما الله ولا رسوله ﷺ بديلين عن الكتاب والسنّة، ولا ناسخين لهما، ولا مخصصين لهما، بل المرجع هو الكتاب والسنّة.

أمّا التاريخ والواقع فهو من باب العظة والاعتبار وأخذ الدروس والعبر، ولا تؤخذ منهما أحكاما تشريعية، فضلا عن أن تكون هذه الأحكام ناسخة أو مخصصة لكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ.

وإنّ جودت سعيد عند حديثه عن التاريخ والتاريخية قد صدر عنه من الكلمات ما يدل على تأثره بالفلسفة الاشتراكية، وبفلسفة أوجست كونت.

فها هو جودت سعيد ينقل كلاما خطيرا لمحمد إقبال، دون أن يعلق عليه، أو

ينقده، أو يشير إلى جوانب الخطأ فيه، بل زعم جودت سعيد أنّ محمد إقبال (هو الذي فهم مغزى ختم النبوة)[1]، يقول جودت سعيد: (وكما يقول إقبال: ... وفي طفولة البشرية تتطور القوة الروحانية إلى ما أسميه (الوعي النبوي) وهو وسيلة للاقتصاد في التفكير الفردي والاختيار الشخصي، وذلك بتزويد الناس بأحكام واختيارات وأساليب للعمل أعدت من قبل، ولكن الحياة أخذت بمولد العقل، وظهور ملكة النقد والتمحيص تكبت - رعاية لمصلحتها- التكوين والنمو لأحوال المعرفة التي لا تعتمد على العقل) [2].

النص السابق يدل على تأثر إقبال وجودت سعيد بفكر أوجست كونت، حيث يرى أوجست كونت أن البشرية مرت عبر تاريخها نحو التقدّم والتطوّر بثلاث حالات: الحالة اللاهوتية، والحالة الميتا فيزيقية، والحالة الوضعية.

الحالة الأولى: الحالة اللاهوتية: ويقرر كونت أن الإنسان في هذه الحالة اللاهوتية قد مر عبر ثلاث مراحل:

١- عبادة الظواهر الطبيعية وغيرها ممّا يعتقد الإنسان أنّ له تأثيراً في حياة الناس وأنها تتصرف في مصائرهم.

٢- تعدد الآلهة بتعدد شئون الحياة؛ فإله للزرع، وآخر للمطر، وثالث للصيد وهكذا.

---

(١) مجلة قضايا إسلامية معاصرة،٦٥، رئيس التحرير: عبدالجبار الرفاعي، بيروت، لبنان، العدد الرابع، ١٤٩١هـ ١٩٩٨م.

(٢) انظر: محمد إقبال - تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص١٤٣-١٤٥، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، عام ١٩٥٥م.

- العمل قدرة وإرادة، جودت سعيد، ١٣٠، دار الفكر المعاصر، بيروت.

٣- مرحلة (التوحيد) وهو جَمْعُ جميع الآلهة في إله علوي غير منظور، خارج عن العالم الذي نعيش فيه.

وقد رأى كونت أن من خصائص الحالة اللاهوتية وبخاصة في مرحلتها النهائية أن منهجها خيالي وهمي ، وأن كل ما لدى أصحابها أمور ذاتية لا صله لهـا بـالواقع أو الموضوع.

الحالة الثانية: الحالة الميتافيزيقية: وفيها يحاول العقل الإنساني أن يكتشف حقائق الأشياء عن طريق علل وأهداف في ذات الأشياء وبواطن الظواهر.

ويرى أن الإنسان ومنهجه في هذه الحالة إنما هو ضرب آخر من أضرب الـوهم والخيال، وأن ذلك ناتج عن أوهام الذات التي لا صلة لها بالواقع.

الحالة الثالثة: الحالة الوضعية : والعقل في هذه الحالة يتخلص في الواقع من أوهام اللاهوت والميتافيزيقيا ، ويدرك الأشياء على حقيقتها كما هي في الواقع والموضـوع، بمعنى أنّ الإنسان في هذه الحالة يهتمّ بواقع الأشياء واستكشاف قوانين الظـواهر مـن خلال واقعها المادي الوضعي القائم على الملاحظة والتجربة.

وقد قرر "كونت" أن هذه الحالات الثلاث تمر على الإنسان نفسه أو يمر بها كل إنسان عبر حياته أو مراحل عمره: ففي طفولته أو بداية حياته يقنع بالحلول اللاهوتية. ثم في منتصف حياته يتحول إلى الحالة الميتافيزيقية فيبحث عن العلل وحقائق الأشياء في باطن الظواهر والأشياء، ثم في أواخر حياته حيث يكون قد نضج عقلا وفكرا ينتقل إلى الحالة الوضعية فيعتمد على ملاحظة الظواهر ويجري عليها التجارب متخذًا المنهج

الوضعي طريقا للوصول إلى القوانين التي تحكم الأشياء[1].

فإذا عرفنا فكرة أوجست كونت، وكيف نظر إلى التوحيد، وما يتعلق به من النبوات والوحي إلى أنّها مرحلة طفولة، ينتقل الإنسان منها إلى مرحلة أخرى، عرفنا ما يقصده جودت سعيد ومحمد إقبال، وأنّ النبوة هي مرحلة الطفولة التي ينبغي الانتقال منها إلى مرحلة السنن والآفاق والتاريخ، وهي تشبه المرحلة الوضعية عند أوجست كونت.

وفي ختام هذا المبحث يتضح موقف جودت سعيد من النبوة، ومن كتاب الله ﷻ وأنّ القرآن لا يفسَّر إلاَّ بالسنن والتاريخ والواقع، دون نظر إلى قرآن أو سنّة أو لغة؛ لأنّها رموز، وقد تحدّث جودت سعيد عن هذه الرموز بقوله: (لقد تعامل الله معنا بالرموز والحقائق، وقال لنا بأن نرجع إلى الواقع والنظر فيه، وأنّ الرموز إن هي إلّا مساعدات مرحلية مؤقتة، يمكن أن تختلف بحسب الزمان والمكان، ولكن سننه الواقعية لن تتغير، وكلّما رجعنا إليها نجدها كما هي ثابتة لم تتغير، {**ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا**} وليست الرموز إلاَّ أسماء، ما أنــزل الله بها من سلطان)[2].

ولا عبرة عند جودت سعيد بكلام الصحابة وتفسيرهم، ولا عجب، فقد أساء لمقام النبوّة والوحي، فكيف سيحسن الأدب في الحديث عن الصحابة رضي الله عنهم[3].

* * *

(١) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، ٣١٧-٣٢٠، دار المعارف، القاهرة، ط٥.
(٢) انظر: رسالة انظروا، جودت سعيد ص٧، نقلا عن كتاب النــزعة المادية في العالم الإسلامي، عــادل التل، ص١٤٧.
(٣) انظر: كتاب النــزعة المادية في العالم الإسلامي، عادل التل، ص٢٥٩-٢٦٦.

الخاتمة

تبيّن من خلال هذا البحث بما اشتمل عليه من مباحث ومطالب، وما تمّ جمعه من نصوص جودت سعيد في كتبه وحواراته، أنّ جودت سعيد يرى أنّ النبوّة مرحلة قد خُتمت، لتحلَّ محلّها بدائل تغني عنها، وقد تنسخ أحكام الشريعة بعضها أو كلّها، وأنّ هذه البدائل هي دلالة سنن الآفاق والأنفس، ودلالة التاريخ والواقع.

وقد تمّ بيان خطورة ما يدعو إليه جودت سعيد، وأنّ ما يدعو إليه هو دين جديد غير الدين الذي أكمله الله ﷻ ورضيه لعباده، وأنّ ما يدعو إليه هو مصادر بديلة عن المصادر التي بيّن النبي ﷺ أنّها هي المرجع الذي يعصم هذه الأمة من الضلال، وهما الكتاب والسنّة.

وقد تبيّن من خلال هذا البحث بعض الأصول التي بنى عليها جودت سعيد مذهبه، ومن هذه الأصول فلسفة أوجست كونت.

لذلك فواجب على المسلمين الحذر من هذا الفكر الخطير الذي يهدم الشريعة، ويعطّل النصوص، وعليهم العمل بوصية النبي ﷺ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ)(١).

وفي الختام أسأل الله أن أكون قد وُفّقت في كتابة هذا الموضوع، وأن يجعل ما كتبته حجةً لي لا علي.

وصلى الله وسلّم وبارك على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

(١) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم، ١/١٧١، حديث رقم (٣١٨).

قائمة المصادر والمراجع

١. **أحكام القرآن**، أبو بكر أحمد بن علي الجصاص، دار الفكر، بيروت.

٢. **اقرأ وربك الأكرم**، جودت سعيد، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

٣. **تاريخ الفلسفة الحديثة**، يوسف كرم، ٣١٧-٣٢٠، دار المعارف، القاهرة، ط٥.

٤. **تجديد التفكير الديني في الإسلام**، محمد إقبال، ص١٤٣-١٤٥، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، عام ١٩٥٥م.

٥. **تحريف مبادئ الإسلام والتلاعب بأحكامه باسم التجديد والعقلانية جودت سعيد نموذجاً**، خلدون مخلوطة، موقع رابطة العلماء السوريين:

http://www.islamsyria.com/portal/article/show/7015#sthash.FF5bxWvv.dpuf

٦. **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ٦٧/٢، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٧. **جامع البيان في تأويل القرآن**، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ٥٥٠/٦-٥٥٦، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٨. **جودت سعيد السيرة الذاتية**، إعداد/غطفان القادري، مجلة الجديد، لبنان، العدد التاسع، ١يناير ١٩٩٦م، ص٢٤.

٩. **حوار مع الأستاذ جودت سعيد بحضور أخته ليلى**، تم نشره في

٢٠١٥/٠٩/٠١م، https://www.youtube.com/watch?v=Cp6UKnrEfTA
١٠. **الدين والقانون**، جودت سعيد، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
١١. **رياح التغيير**، جودت سعيد، ص١٠٤-١٠٥، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط٢، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.
١٢. **سنن الترمذي**، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
١٣. **شرح السنة**، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، ٢٧٠/١، تحقيق: شعيب الأرناؤوط- محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
١٤. **شعب الإيمان**، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ٣٤٧/١، تحقيق: د.عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م
١٥. **العمل قدرة وإرادة**، جودت سعيد، دار الفكر المعاصر، بيروت.
١٦. **مجلة قضايا إسلامية معاصرة**، ٦٥-٦٦، رئيس التحرير: عبدالجبار الرفاعي، بيروت، لبنان، العدد الرابع، ١٤٩١هـ ١٩٩٨م.
١٧. **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، ٤٢٢/١١-٤٢٤، جمع وترتيب/عبدالرحمن بن محمد بن قاسم.
١٨. **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،

١٤١١هـ ١٩٩٠م.

١٩. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ٢٥/١٩٨، حديث رقم (١٥٨٦٤)، تحقيق/شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

٢٠. **مفهوم السننية بين الدلالة القرآنية والتوظيفات الحداثية**، محمد عادل شريح، مقال نُشِر على موقع (مركز التأصيل للدراسات والبحوث) على الانترنت، يوم السبت ١ ذو القعدة ١٤٣١هـ:

http://taseel.com/articles/126

٢١. **النزعة المادية في العالم الاسلامي**، عادل التل، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، دار البيّنة للنشر والتوزيع.

مواقع الإنترنت:

٢٢. **موقعه/ جودت سعيد نت** (http://www.jawdatsaid.net/)

٢٣. **ويكيبيديا الموسوعة الحرة**، نوفمبر ٢٠١٥م:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D9%88%D8%AF%D8%AA_%D8%B3%D8%B9%D9%8A%D8%AF

٢٤. **الشركس أهل التاريخ والحضارات:**

https://www.facebook.com/sharkashistory/posts/1123412071002336

* * *